دير الفارُوس

بجانب اللاذقية

من الغريب ، أن هذا الدير لم يذكره الشابشتي في كتاب « الديارات » ، ولا البكري في « معجم ما استعجم » ، ولا ياقوت الحموي في « معجم البلدان » !

ودير الفاروس ، من أقدم الديارات في الشرق ، فإن تأسيسه يرقى إلى صدر النصرانية . وأقدم ما انتهى إلينا من أخباره يعود الى سنة ١٨١ للميلاد ، فقد ذكر الرحالة الانكليزي ولپول (F. Walpole) في رحلته الشرقية [1] أنه وقف في مدينة اللاذقية على نسخة خطية من الكتاب المقدس ، مكتوبة بخط مليح ، ومحافظ عليها أحسن محافظة ، بالرغم من مرّ العصور عليها . ولقد كتب هذه النسخة ثيودُسيوس الأسقف اليوناني ، سنة ٤٩٢ يونانية (= ١٨١ م) فهي إذاً من مخطوطات المائة الثانية للميلاد . ثم قال : إنه في سنة ١٧٢٧ يونانية (= ١٤١٦ م) وَجد الأسقف نقفور (Nicephorus) أن صفحة العنوان من هذه المخطوطة أصبحت لعتقها غير مقروءة ، فأعاد كتابتها طبقاً لما هي عليه في الأصل ، ثم أثبت ختمه فيها دلالةً على صدق « التاريخ » الوارد في الصفحة التي أصابها البلى . وهذه النسخة الغابرة العهد ، كتبت لكنيسة « فاروس » وهي كنيسة كانت تُعرف باسم « القديس جرجس [2] » حينما نهبها الترك ، وبات من الصعب اليوم معرفة أخربتها في خارج المدينة .

ومما ذكره ولپول أيضاً ، أنه وجد هناك نسخة عربية من الكتاب المقدس ، كتبت لكنيسة الفاروس سنة ٧٩٣ يونانية (= ٤٨٢ م) . كما أنه رأى هنالك نسخة خطية من

---

(١) The Ansayrii, and the Assassins, with Travels in the Further East, in 1850—51, including a Visit to Nineveh. (Vol. 3, London, 1851; pp. 83—86)

(٢) لا يمكن أن تكون هذه الكنيسة ، منذ بدء تأسيسها ، قد سميت باسم [القديس جرجس] لأن هذا مات نحو سنة ٣٠٦ م . في حين أن خبر المخطوطة أعلاه كان في سنة ١٨١ م . وهي الى ذلك ليست سنة تأسيس الكنيسة كما لا يخفى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تفسير الكتاب المقدس ، فيها ورقة حوت نبذة تاريخية جزيلة الفائدة ، نقلها الى الانكليزية في كتابه المذكور . ومما ورد فيها أنه لم يتبقَّ للنصارى في مدينة اللاذقية ، وذلك سنة ٦٦٧ للهجرة (= ١٢٩٦ م) غير عشر كنائس ، وقد ذكرها بأسمائها ، مع عدد قسوس كلٍّ منها في ذلك التاريخ . ومن بين تلك الكنائس العشر ، كنيسة الفاروس (El Farous) قال انَّ فيها ستة قسوس .

فهذا الخبر الأخير ، يرتقي الى المائة السابعة للهجرة .

وأقدم ما وقفنا عليه في المراجع العربية ، في صفة هذا الدير ، ما ذكره شمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الرَّبوة (المتوفى سنة ٧٢٧ هـ) . قال ما هذا نصه :

« وبها [أي باللاذقية] دير الفاروس ، من أعجب البناء في الديور ، وله يوم في السنة [١] تجتمع النصارى اليه [٢] » اهـ .

وقد نقل المستشرق لسترنج (Guy le Strange) قول شيخ الربوة في هذا الدير الى الانكليزية ، في كتابه فلسطين في عهد الإسلام [٣] .

وممن ذكر هذا الدير ، البلدانيُّ المؤرخ أبو الفداء (المتوفى سنة ٧٣٢ هـ) ، في عرض كلامه على اللاذقية فقال إنها « بلدة ذات صهاريج ، وهي على ساحل البحر ، وبها ميناء مفضلة على غيرها . وبها ديرٌ مسكون يُعرف بالفاروس ، حسن البناء » [٤] .

وقد تصحف اسمُ هذا الدير في « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمري (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) الى دير القاروس [٥] ، قال بصدده :

« دير القاروسن : على جانب اللاذقية ، من شمالها ، وهو في أرضٍ مستوية ، وبناؤه مربع ، وهو حسن البقعة . وفيه يقول ابو عليّ حسن بن علي الغزي :

---

(١) كانت كنيسة هذا الدير في عهد شيخ الربوة ، تُعرف بكنيسة القديس جرجس . ولهذا القديس عيدٌ يقع في ٢٣ نيسان من كل سنة . وعندنا أن اليوم الذي تجتمع النصارى اليه ، هو يوم عيده .

(٢) نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر (ص ٢٠٩ طبعة مهرن (Mehren) في بطرسبرج ، سنة ١٨٦٥ . (٣) Palestine under the Moslems (1890 ; p . 491) .

(٤) تقويم البلدان (ص ٢٥٧ طبعة رينو Reinaud ودي سلان De Slane في باريس ، سنة ١٨٤٠) . (٥) بالقاف . والصواب انه بالفاء على ما يجيء بنا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم أنس في القاروس يوماً أيضا مثل الجبين يزينه فرعُ الدُّجى
في ظل هيكله المشيد وقد بدا للعين معقود السكينة أبلجا
واللاذقية دونه في شاطئٍ بلوره قد زين الفيروزجا
ولديَّ من رهبانه مُتنمس أضحى لفرط جماله متبرجا
أحوى أغنُّ اذا تردد صوته في مسمع رد احتجاج ذوي الحجى
لا شيء ألطف من شمائله إذا حثَّ الشمولَ ولفظه قد لجلجا
فله . ولليوم الذي قضيته معه بكأني لا لربع قد شجا [1] انتهى

ولكنَّ للناشر المغفور له احمد زكي باشا ، تعليقاً على هذا الدير لا يستقيم والحقيقة . فقد قال في الحاشية بأسفل تلك الصفحة : « أنظر فتوح البلدان للبلاذري . ص ٣٥٧ » . وهذه الحاشية توهم أنَّ دير الفاروس قد ذكره البلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩ هـ) . ولكن عند الرجوع الى الصفحة المذكورة من كتاب البلاذري ، وجدنا عجباً ، واليك قوله بالحرف الواحد :

« وحدَّثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : قاد ابو موسى الأشعري نهر الأُبُلَّة من موضع الدَّجانة الى البصرة ، وكان شرب الناس قبل ذلك من مكانٍ يقال له (دير قاووس) ، فوَّهته في دجلة فوق الأُبُلَّة بأربعة فراسخ [2] »

فما أعظم الفرق بين الموطنين ، وشتان ما بين الأُبلة واللاذقية ونظنُّ ان الذي دفع زكياً باشا إلى هذا الوهم ، هو انه في مراجعته « فتوح البلدان » ، اكتفى بتدوين اسماء الديارات الواردة في « فهرست الأمكنة » المثبت بآخر الكتاب ، ليشير اليها في تعليقاته على « مسالك الأبصار » دون الرجوع الى المتن والتثبت من صحة انطباقه على ما يريد .

وقد نقل الأستاذ محمد كرد علي بك ، من مسالك الأبصار ما ورد بصدد هذا الدير [3] ، في كتابه الموسوم « خطط الشام » فورد هناك — تبعاً للأصل المنقول عنه — « دير القاروس » بالقاف .

(١) مسالك الأبصار (١ : ٣٣٦ بتحقيق أحمد زكي باشا) . (٢) فتوح البلدان للبلاذري (ص ٣٥٧ طبعة دي غويه) . (٣) خطط الشام (٦ : ٣٤ — ٣٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وممن وصف هذا الدير أيضاً الرحالة النادرة الصيت ابن بطوطة (المتوفى سنة ٧٧٧ هـ) قال في رحلته : « وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص ، وهو أعظم دير بالشام ومصر ، يسكنه الرهبان ، ويقصده النصارى من الآفاق . وكلُّ من نزل به من المسلمين فالنصارى يضيفونه . وطعامهم الخبز والجبن والزيتون والخلّ والكَبَر[1] » .

إنّ ما ذكره ابن بطوطة في هذا الوصف ، نقله لسترنج الى الانكليزية في كتابه المشار اليه في أوائل بحثنا (ص ٤٩٢) وكذلك فعل الأستاذ حبيب زيات ، ولكنه سماه « دير القاروص » بالقاف ، وآخره صاد مهملة[2] .

ويقول العلاّمة الآثاري دوسّو (René Dussaud) في كتاب جليل له[3] ، إن بقايا هذا الدير (Deir el - Farous) يمكن ان يُبحث عنها في أخربة « تلّ فاروس » (Tell Farous) الواقع بين اللاذقية وقرية بِسّنادا ، وتبعد إحداهما عن الأخرى ميلين ونصف الميل . وقد أثبت دوسو موقع هذا التلّ في خريطته التاسعة الملحقة بكتابه المذكور .

وقد ذكر دوسو في الحاشية ٣ من الصفحة ذاتها : انّ كلمة فاروس (Farous) وردت بلفظ فاڤوس(Favous) في : Revue Or. Lat . , IX p . 38, note 4 .

اما لفظة « فاروس » فكلمة دخيلة ، لم نعثر على تفسير لها في المعاجم العربية المختلفة التي بين يدينا ، فهي مما يُستدرك عليها . بل لقد أغفل ذكرها كل من دوزي (Dozy) في « تكملة المعاجم العربية » ، وفنيان (Fagnan) في معجمه « زيادات على المعاجم العربية » .

وقد وقفنا في كتاب « العنوان » ، وهو تاريخ عام ، لأغابيوس [محبوب] بن قسطنطين المنبجي ، (من أهل المائة العاشرة للميلاد) على مايلي: « فاروس الاسكندرية: وهو البرج والمنظرة الذي في داخل البحر »[4] . فهل عُرف دير الفاروس بهذا

(١) تحفة النظار (١ : ١٨٢ — ١٨٣ طبع باريس) . (٢) الديارات النصرانية في الاسلام (ص ٥٩ — ٦٠) . (٣) Topographie Historique de la Syrie Antique et Mediévale (Paris , 1927 ; p. 415) .

(٤) كتاب العنوان (ص ١٢ طبعة ڤازيلييف Vasiliev . في البازرولوجية الشرقية لغرافن ونو . باريس ١٩٠٨) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاسم لوجود برج او منظرة فيه ؟ ذلك بعد ان مرّ بنا انه كان بجانب اللاذقية ، وان اللاذقية كانت من أشهر الموانئ على البحر المتوسط ؟

أما اصل لفظة « فاروس » فمأخوذة من اسم جزيرة فاروس (Pharos)، وهي جزيرة صغيرة في ميناء الاسكندرية ، أقام فيها بطليوس فيلادلفس وهو الثاني من بطالسة مصر (٢٨٥ — ٢٤٧ ق . م) مناراً شهيراً .

وفي معجم ويستر الكبير ، ان لفظة فاروس مأخوذة من اللاتينية واليونانية ، بمعنى الفنار أو المنار[1] .

* * *

يؤخذ من ذلك كله ، انّ اسم هذا الدير ورد في المراجع التاريخية والبلدانية بأوضاع مختلفة ، وهي : دير الفاروس، ودير الفاروص، ودير القاروس، ودير القاروص، ودير الفاقوص . وعندنا انّ التسمية الأولى هي الصحيحة التي يجب ان يؤخذ بها .

أما إلى أية فرقة نصرانية كان يُنسب هذا الدير ، ومَن مؤسسه ، وفي أي سنة كان ذلك ، وما مجمل أخباره ، ومتى تمّ خرابه ؟ فلم نقف على شيء منها فيما بين يدينا من مراجع .

(بغداد) كوركيس عواد

(١) Webster's New International Dictionary of the English Language (2nd ed . . London , 1934 ; p . 1837 , col . 3) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net